عوض ...

قصة بقلم فتحي زكي

ليه دنيا ...

هل كان يخطر ببالي ابدا ان ازور هذا المكان في يوم ما .. بل هل كنت أتصور أن تكـــون زيارتي الاولى له من أجل هـذا السبب الغريب .. الذي لا أدري كيف قبلت ان يدفعنيالى الذهاب هناك .. مع موقفي الصريح من زيارته .. لقد قررت ألا أزوره الا يوم اضطر السكنى فيه للابد.. والخلود فيه الىذلك المجهول الذي لا يعرفهأحد..

والحق .. انيحاولت ان أتهرب من هذه المهمة الثقيلة البغيضة.. في كل مرة دعتني فيها الظروف الى جنازة او عرس كنت أتمكن مـن « الزوغان » .. فقد كنت أنفر حتى من حضور الاعراس .. فالزواج والموت في اعتقادي صنوان .. وانا أكره الاثنين . فلولا الزواج لما كان الموت .. ان المرء يتزوج ليلد طفلا .. وما دام الطفـــل قد ولد .. فلا بد انه يوما سيموت .. نعم لولا الميلاد لما كان المـــوت .. بل ان العلماء يقولون ان الموت عملية تدريجية تبدأ يوم الميلاد .. وان مـــا نتصور انه الموت ليس الا النقطة التي تضعها ارادة طاغية في نهـــاية جملة سخيفة لا معنى لها ..

في هـذا العام تزوج اخيولم احضر حفل عرسه .. ومنذ شهرين ماتت جدتي فلم أفتح فمي بكلمة عزاء لاحد حتى لامي .. كثير مـــن الاصدقاء تضايقوا مني .. في عديد من المناسبات .. كانوا يتهمونني بالشذوذ .. بالنفور من الناس .. وصفني صديق له في قلبي مكـان فسيح بأني أناني .. فأنا في نظـــره لا افرح من اجـــل الناس .. لا اشترك معهم في أحزان .. اني من حجر صوان .. لا قلب لـي .. ان أنانيتي التي يلمسها الاخرون مني ليست سوى قنـــاعا خادعا .. انها ماكياج .. أما حقيقتي .. فاني ..

لست اذكر الان بالتحديد الكلمة التي وصفني بها ذلك الصديق.. ولكني اذكر جيدا معالم الاحتقان على وجهه وهو يقذفني برصاصاته .. كانت تلك الليلة .. ليلة عرس اختي .. وما كان في نيتي ان اذهب الى الحفل .. ولا ان اخبر صديقي بخبر الزواج .. حبست عنه النبأ شهورا طويلة .. ولكن لست أدري كيف عرف تلك الليلة بموعد الزفاف فجاء الي وقد جهز في فمه رصاصاته .. آه .. تذكرت الان وصفه لي قال انني كالصندوق المغلق يخفي كنوزا لا يراها أحد .. وأرجـــو ألا تكون الذاكرة قد خانتني مرة اخرى ..

في تلك الليلة اضطررت للذهاب الى العرس .. أول عرس أشهده في حياتي .. ولعله آخر عرس .. فقد تأكد لي وأنا أرى طقوسالزواج وابتسامات الناس ان احساسي بالنفور كان أصيلا ..

واليوم انا ذاهب لزيارة القبور لاول مرة .. مضطرا كذلك فأنـا ذاهب الى المدافن كجزء من أعباء وظيفتي بشركة « الافلام العربية » .. والحق.. انه لولا خوفي من ان يؤثر الرفض على صلتي باسماعيل بك.. لرفضت ..

ولكني لم أستطع التهرب .. وها أنذا ها هنا .. حيث اختـار الموت مسكنه .. وحيث تعلق بذرات الهواء أصـــداء أحزان لا تشيب ابدا ولا تستطيع القبور أن تحتويها في جوفها ..

ويقف سائق العربة السوداء .. في مكان مهجور .. أجرب .. ويقول لي .. وهالة من الغبار تدفن كل شيء من امامي .. أنـزل .. ودع يومك ينتهي على خير ..

كان السائق قد نفد صبره مثلي .. ولكني كنت أستعين عـلى ضيقي بقطار سريع ركبه خيالي وأخذ يجوب به رحلة حياة طولهـــا بضعة أعوام .. ولم يتوقف القطار في محطة الحاضر الا بفرملة مفاجئة من صوت السائق الغاضب .. وهو يقول .. انزل .. ودع يومـــك يمر على خير ..

ونزلت من العربة .. وضجيج فرملة القطار المفاجئة لا زال فـي قلبي .. ونظرت حولي .. أين أنا .. آه .. نعم .. لقد جئت لزيارة القبور .. مضطرا .. جئت لادفن .. اللاشيء ..

وهل يعرف أحد من هو اللاشيء .. أنا نفسي لا أزعم انـــي أعرفه .. كان طوال الخمسة الاعوام الماضية يمثل في نظري لغزا مـن الصعب على عقلي القاصر ان يفسره .. ولكن أكان اللغز غامضا فعلا أم انه كان لا يشغل من بالي حيزا يدفعني الى التفكير فيه .

كل ما أذكره الان .. ان ابرز ما يحضر خاطري من خصائصـه .. انه لم يرتد في حياته شيئا جـــديدا .. حتى رحم امه .. لم يكـن جديدا .. فقد كان لامه أربعة اولاد قبله .. ولا اعلم كم بعـــده .. كنت دائما أراه في الايام القريبة الماضية يرتدي جاكتة عباس افنـدي القديمة التي أعطاها له منذ شهور .. وحذاء اسماعيل بك .. وقميص الاستاذ حمدي .. ويربط البنطلون الكالح اللون الذي اعطاه له رشدي بالحزام الجلدي الذي أعطيته أنا له منذ ثلاثة اعوام .. انه بالاختصار لم يكن يزيد عن شماعة .. تعلق عليها ملابس الاخرين القديمـة .. وأحزانهم ايضا ..

والاعجب من هذا ان اسمه .. عوض .. أي انه كان عوضا عـن شيء كان موجودا قبله .. ثم ضـــاع .. اي انه كان في الحيـــاة نمرة ٢ دائما .

وليس هذا كل شيء .. فان وجهه كان أعجب ما فيه .. كـــان يخيل الي في الايام الاولى من رؤيتي لعوض ان من غير المعقول أن يكون الفنان الذي رسم صورة وجهه هو نفس المبدع الذي رسم صورة وجه انجريد برجمان .. وزميلتنا المداموازيل الجميلة سناء .. سناء التي عاشت في خيال كل من بالشركة اياما كره فيها الاخرين خوفا من ان تختار الزميلة الحلوة احدا منهم غيره .. انا نفسي رغم زهدي الواضح في المرأة .. كنت أحس بها ساكنة في عقلي حتى بعد انصرافها مـن مكتب الشركة .. كنت أراها حتى بعد ذهابها لا زالت امامي .. أشـم رائحة عطرها المختلط بعرقها ذي الرائحة الشهية عالقا في الهـواء .. فقد كان الهواء ايضا يحب سناء فيحتفظ برائحتها وقتا طويـلا .. أراها في التأشيرات المكتبية التي كانت تكتبها على الخطابات بالخط الدقيق .. أراها فيترتيب مكتبها .. ألمس اثرها الفعال في طريقـــة تأنق الزملاء جميعا وتنافسهم على السلوك المهذب رغم معرفتي الاكيـدة بأخلاق كل منهم .. كانت سناء سحرا اختفى من مكتبنا ذات يـــوم عندما دخل في حياتها رجل اقتنصها منا جميعا ثم طار بهـــا الـى عش .. مجهول ..

فهل يعقل أن يكون صاحب هذه الآيـــة من الجمال .. هو نفس صاحب هذا الوجه الغريب الـــذي لا أعرف كيف يمكن ان تصفـــه الكلمات .. على أي حال سأحاول ان ارسم صورته ..

كان يخيل الى من ينظر اليه ان وجهه قد ركب من عدة وجـــوه قديمة مستعملة .. فما من مرة نظرت فيها الى انفه الا وتذكرت أنف زميلنا عباس .. ذلك المنخار الرهيب الذي يكفي ثلاثة افراد عـــلى الاقل .. لو ان هناك عدلا في توزيع الانوف .. اما فمه فأكاد أجـزم انه اقترضه من ممثل السينما المعروف سعيد حمدي .. فاذا احتمـل

الناظر اليه التدقيق اكثر من هذا في ملامحه المشوهة فانه يرى ذقنا عريضا يشبه بالتأكيد ذقن انسان اخر اعرفه .. من يكون .. لقد نسيت اسمه الان .. اما عظام الوجه فبارزة كأنها مظلة مفتوحة على الدوام تظلل وجنتين غائرتين لدرجة تحسب معها انهما ليستا الا حفرتين فارغتين تضعان اللمسات الاخيرة في أقبح صورة لوجه امتلكه انسان .. ما من مرة رأيت عوض الا وتذكرت الرسم التقليدي الذي ترسمه شركة الترام على أكشاك التيار الكهربائي ذي الضغط العالي لتحذر الناس من خطر الموت.. جمجمة قبيحة تحتها عظمتان متعارضتان ترهب الناس بالخوف من الموت ..

ومع ذلك لم نكن اذا نظرنا لعوض نحس بأي رهبة .. فاننا بمضي المدة اعتدنا على كل هذا النشاز الذي تضج به صورة وجهه .. بل اننا استخرجنا من هذا النشاز نوعا من الانسجام لا بد انه كان من وهمنا نحن ..

فهل كنت حقا أنفر من وجه عوض .. دون ان أدري .. ولهذا أتذكر الان كل هذه الاوصاف القبيحة ؟!

لست ادري .. ولكن والحق يقال لم يكن وجه عوض كله قبيحا للدرجة التي نتخيلها .. فعلى شفتيه الواسعتين .. كنت أجد ابتسامة شابت من طول البقاء في مكانها على شفتيه .. ابتسامة واسعة ترحب وتغفر وتعبر عن الحب .. والسخرية والاندهاش .. والضيق واللوم أيضا .. نعم كانت ابتسامة تغيظني أحيانا لاني لم أستطع يوما ان افهمها .. أو أسبر غورها .. ولكن لم تكن ابدا مجرد ابتسامة بلهاء كما كان زملائي يظنون .. ابتسامة كانت تسد علي الطريق كلما حاولت ان انفذ منها لاعرف فيم كان عوض يفكر في أي لحظة أراه .. بل انني أتحدى أي جهاز اليكتروني ان ينجح فيما فشلت فيه أنا ..

الذي أذكره يقينا .. انني كنت أقسو عليه أحيانا فأشتمه كلما صنع لي القهوة لانه كان دائما ينسى مزاجي في القهوة « المظبوطة » ويصر على صنعها « سكر زيادة » .. فكانت ابتسامته التقليدية تقول لي عندئذ .. آسف .. فاذا صرخت في وجهه بعد ذلك محتدا عليه لانه نسي مثلا جانبا من واجبه في العمل .. كانت نفس الابتسامة دون اضافة او حذف ترد علي لائمة وتذكرني اني « زودتها شوية » ..

كانت تلك الابتسامة ـ أغرب ما في عوض .. بعد صورة وجهه.. ولكن بمضي المدة اعتدنا عليها كما ألفنا وجهه النشاز .. ولم يعد لوجودها وقع علينا .. أصبحت جزءا مكملا لمكونات وجهه .. مثلها مثل أنفه الكبير .. او ذقنه العريض .. او فمه الواسع ..

مرة واحدة .. تذكرتها الان .. فارقت وجهه تلك الابتسامة .. لقد أحسست ذلك اليوم ان وجه عوض بغيرها وجه اخر .. ولقد تساءلت عندئذ عما حدث له حتى يتنكر عوض في وجه بلا ابتسام ؟!..

وأدركت ذلك اليوم كم هو قبيح الوجه .. وان تلك الابتسامة هي تقريبا السائل الحلو الذي يضع في الصيدلي الدواء المر حتى يستسيغه المريض .. ولم ألبث ان عرفت سبب تكشيرة عوض .. سألته في الحاح فصمت .. ثم أجاب وهو على وشك البكاء :

ـ اسماعيل بك شتمني ..

ـ طب وايه يعني ما بيشتمك كل يوم.. اشمعنى النهار ده زعلان.

ـ أيوه يشتمني كل يوم عشان نفسي معلش .. يلعن أبوي عشان غلطة عملتها .. على عيني وراسي .. انما عشان هو مش قادر يشتم اللي قدامه ونفسه يفش غلبه في أي واحد لا .. لا يا سي احمد .. هو انا ذنبي ايه ..

ـ ايه حكايتك فهمني ؟

ـ كان معاه زباين منفاظ منهم وعاوز يشتمهم لكن مش قادر ضرب الجرس .. ضربة طويلة وفيها غل .. دخلت عليه مسروع .. اول ما شافني قام هاتت في وقال لي انت ابن كلب .. يلعن ابوك على أبو اللي وراني وشك .. انا عارف المصايب دي بتتحدف علي منين .. أي والله كده يا سي احمد .. من الباب للطاق .. لما خلاني بقيت في نص هدومي قدام الناس وصعبت علي نفسي قوي ..

ـ معلش يا عوض .. اضحك بقى ..

ـ بس لو كان يشتمني عشان نفسي زي كل يوم معلش .. انما عشان ناس تانيين ده كتير قوي يا سي احمد ..

ـ طب روح بقى يلعن ابوك .. انت ابن كلب .. مش قلت لك ألف مرة قهوة مظبوط يا بجم مش زيادة .. ح أعلم فيك لامتى ؟..

عندئذ فقط حطت الابتسامة الغريبة على وجهه مرة اخرى ، فقد أحس عوض اني أشتمه من اجل غلطة ارتكبها هو .. وما كان عوض يهتم بأقذع السباب بقدر اهتمامه بأنني أقدره ولذلك اغضب منه..

في ذلك اليوم فقط عثرت على جواب للسؤال الذي حيرني طويلا وجوده : لماذا قبل اسماعيل بك .. الرجل الفطن ان يستخدم في شركته انسانا عاطلا من المؤهلات والمزايا مثل عوض .. كان اسماعيل بك رجلا يتميز بالذكاء .. لم يكن يتحرك حركة واحدة دون ان تجد وراءها دافعا ما .. وبفضل ذكائه هذا .. صنع المليون جنيه .. هكذا يقول الناس .. لقد بدأ حياته فقيرا معدما .. كان الشارع مأواه بالليل .. وكان عسكري الداورية مع الجوع والبرد .. أعدى اعدائه ولكنه سريعا ما استطاع ان يكتسب صداقة عسكري الداورية .. كما اكتشف ان عقله يمكن ان يصنع من اللاشيء .. كل شيء .. وبالفعل تمكن في سنوات قليلة ان يصعد الى القمة .. وان يظل فوقها منذ عشرة اعوام .. وهذا أعجب ما في الامر .. فان لقبه الان « ملك السينما » بيده مصائر الكثيرين .. أو هكذا يعتقد اسماعيل بك .. وأنا مهما كنت اكرهه لفظاظته وغطرسته وغروره .. الا اني اعترف له بأنه أذكى من قابلت من الناس في حياتي ..

كنت المس ذكاءه اللماح طوال فترة خدمتي بشركة توزيع الافلام وراء كل تصرف يقدم عليه . حتى ابتسامته كانت لهدف .. ان من ينظر الى اي موظف بالشركة يجد ان اسماعيل بك قد وظفه لميزة ما .. مهما كلفته ..

وليس في حياة اسماعيل بك شيء لله ابدا .. فهو لا يلحق لديه بالعمل فردا واحدا لمجرد فتح باب رزق له .. ان قلبه من حجر لا ينبت فيه غصن الرحمة الاخضر .. وكنت أتعجب .. لماذا قبل ان يلحق عوض بالعمل في شركته رغم غبائه الذي يثير الاعصاب في كثير من الاحيان .. في ذلك اليوم فقط .. اكتشفت السبب الذي كان خافيا حتى عن عوض نفسه ..

كان اسماعيل بك يتاجر في الافلام السينمائية .. يبيعها لعدة بلاد .. وكان ماهرا في استخراج اكبر المبالغ من جيوب زبائنه .. وكان هؤلاء الزبائن خليطا عجيبا من الناس .. رجال اعمال من السعودية والكويت .. وتجار من العراق وسوريا ولبنان وبلاد شمال افريقيا .. ولم يكونوا في اغلب الاحيان ظرفاء .. بل مجرد حيوانات غبية متكلمة تفوح من ابدانها روائح عرق نتن رغم الملابس الفاخرة .. والخواتم الذهبية المرصعة بالماس .. وساعات اليد التي أكاد أجزم انها ليست ذات فائدة لان اصحابها لا يعرفون قراءة الوقت ولا قيمته ..

وكان اسماعيل بك يحتقرهم جميعا.. كانوا يثيرون اعصابه فيحتد معهم احيانا في نقاش صاخب يود معه في لحظة ضيق طائش لو يثور على احدهم ويقذف في وجهه بالمحبرة الانيقة التي تزين مكتبه الكاخر.. لكنه سريعا ما كان يتذكر في اللحظة المناسبة المبالغ الكبيرة التي تنام في جيوبهم والتي تنتظر الفرصة ليوقظها كي تطل الى جيبه فيكظم غيظه بطريقة غريبة عرفتها ذلك اليوم .. يضرب الجرس بغيظ فيحضر له عوض .. فيسبه أقذع السباب ويقول له ما كان يود ان يقذف به الزبون الذي امامه لولا حرصه على المكسب الكبير .. وكان في كل مرة يبرد سبه لعوض اي تبرير ولكنه نسي تلك الخدعة ذلك اليوم لغيظه الشديد .. فاكتشفنا كما اكتشف عوض سر الحاقه بالعمل بالشركة ..

في ذلك اليوم لمس الحزن وجهه فطارت الابتسامة .. أتراه قد شعر عندئذ بأنه ايضا حتى في السباب لا يقصد لذاته .. وانه نمرة ٢ ايضا .. وانه لا شيء ..

ايه دنيا ...

وليس هذا كل ما اعرفه عن عوض .. فقد كان عوض نمرة ٢ في عديد من المسائل .. لقد تحول اسماعيل بك منذ خمسة اعوام الى انتاج الافلام .. فانقلب مكتب الشركة الى سوق تعج بأفواج من الناس .. ممثلون .. ومخرجون .. وفنيون .. وكومبارس .. وهكذا ظهرت لعوض بالنسبة لاسماعيل بك ميزة جديدة ..

كانت الشركة تنتج فيلما يقوم بدور البطولة فيه نجم السينما المعروف محسن كامل .. وكان احد مواقف الفيلم يستلزم ان ينهزم البطل في معركة امام فريم له بعد ان يكيل له عديدا من اللكمات .. وبعد ان يسيل دمه ..

ولكن البطل رفض ان يقوم بتمثيل هذا المشهد .. كان يخاف على نفسه من الاصابة ككل النجوم .. وكاد تصوير الفيلم ان يتوقف .. عندئذ اقترح اسماعيل بك على المخرج اقتراحا رحب به .. ان حجم بطل الفيلم مماثل لحجم عوض .. فلماذا لا تصور لقطات هذه المعركة من زوايا لا تظهر الا ظهر البطل وعندئذ يمكن اقناع عوض بالقيام بدور البطل وتلقي الضربات بدلا منه ..

وبالفعل تمكن اسماعيل بك من خداع عوض .. قال له انه قرر ان يجعل منه نجما سينمائيا .. ألم يصنع هو معظم من في البلد من النجوم .. وسيعطيه مقابل هذا الدور جنيها كاملا عن كل يوم ..

فماذا كانت النتيجة ؟!..

جاء عوض الى مكتبنا في اليوم التالي وقد تاهت ابتسامته التقليدية في ثنايا وجهه المتورم من كدمات الامس وكان منظره يدعو عندئذ الى الرثاء ..

ومنذ ذلك اليوم وقد أضيفت الى اعمال عوض المتعددة بالشركة وظيفة البديل في الافلام التي ينتجها اسماعيل بك .. فقد أغراه المكسب البسيط اول الامر بالتمادي في تلك الشغلانة الجديدة .. ثم بدأ بمرور المدة يعتبر نفسه فنانا لا مجرد كومبارس يضرب ويتلقى أقسى اللكمات عوضا عن البطل ..

اما عن حياة عوض الخاصة فلم يكن احد من موظفي الشركة يدري عنها شيئا .. كل ما كنت اعرفه انه كان يرسل جنيهين لزوج امه في السودان وجنيها ونصف لامرأة ابيه المتوفي في الاسكندرية .. وانه فيما يتعلق بنقوده .. كان اخر من يمتلكها .. الى ان كان ذلك اليوم الذي ضربت فيه الجرس في الصباح ليحضر لي القهوة ككل يوم .. فلم يأت عوض بل جاء زميله فراش المكتب الاخر .. الحاج محمد .. وسألت الرجل العجوز .. قال لي والدهشة المتزجة بالشك تبطن كلامه الصعيدي الفخم :

ـ والله ما أنا خابر يا سعادة البيه ..

ـ ايه يعني ح يكون مات ..

ـ تقريبا كده برضه ..

ـ انطق .. قول ..

ـ سمعنا انهم كبسوا عليه امبارح في البيت لقيوا معاه طربة مخدرات .. وخدوه على اللومان ..

ـ طربة مخدرات .. بيعمل بيها ايه .. مش معقول ..

ـ انا برضه باقول كده يا سعادة البيه .. بقى عوض الاهبل الهايف ده يتشبه بالرجال ويتاجر في المخدرات.. دي حكاية ما تدخلش دماغي ابدا .. كان غيره أشطر ..

ـ يعني مستكتر عليه يعملها ..

ـ طبعا يا سعادة البك .. ده حكاية عاوزه مرجلة وقلب حديد.. وعوض زي ما انت خابره بقى مره بشنب ..

وضحك الرجل العجوز وكأنه يزهو بنفسه لانه اكتشف حقيقة خافية لا يعرفها احد غيره .. او كأنه يريد ان يؤكد لنفسه ان رأيه هو الصواب وان من المحال ان يستطيع عوض الاتيان بعمل بطولي ربما كان الحاج محمد السبع نفسه يريد الاقدام عليه ولا يستطيع ..

ولم تنته القصة عند هذا الحد .. فسريعا ما تأكدت الحقيقة وعرفنا ان البوليس قد اقتاد عوض بالفعل ليلة الامس الى القسم بعد ان ضبطت معه كمية كبيرة من الحشيش مقطعة الى اجزاء ومعدة للبيع.. وانه اعترف في تحقيق النيابة بأن الحشيش المضبوط خاص به .. وان لا مناص اذن من الحكم عليه بالسجن ..

ولكني لم اقتنع بهذا الكلام .. رغم أن الاعتراف أمير الادلة كما يقولون .. كانت شخصية عوض المسالمة وذكاؤه المحدود .. وتأكيد الحاج محمد بأنه « هايف وناقص مرجلة » ومواقف كثيرة لعوض معي تؤكد بما لا يدع مجالا للشك ان في الامر خدعة .. او مكيدة او سوء حظ من النوع المزمن الذي ينفرد به عوض دون خلق الله أجمعين .. وقد صدق حدسي ..

كان عوض يسكن في تلك الفترة مع اخته المتزوجة .. وأولادها السبعة .. وكان زوجها متعطلا في الايام الاخيرة فدفعته البطالة الى الاتجار بالمخدرات .. الى ان شاعت رائحة الحقيقة وعرفت في الحي كله .. فضبطه البوليس بالامس .. وكان عوض موجودا في البيت عند حضور البوليس .. فلم يحتمل منظر اولاد اخته وبكائهم .. وهم يتعلقون بأهداب ابيهم .. ولا دموع اخته نفسها وهي تنظر لزوجها والجنود يدفعون به في احتقار وقسوة الى الخارج .. ولم يشعر بنفسه وهو يصيح فيهم وقد بلغوا فتحة الباب :

ـ الحشيش ده بتاعي .. محمود ملوش دعوة بيه سيبوه ..

ولم يكذب محمود زوج الاخت .. هذه النجدة التي لم يكن يحلم بها .. وترك الجنود يقتادون عوض بدلا منه معهم الى مصيره المحتوم..

عرفت هذه الحقيقة من صاحب دكان للسجاير مقابل للبيت الذي كان عوض يسكنه مع اخته ..

وهكذا اختفى عوض من مكتبنا فترة من الوقت .. ربما امتدت لعامين او ثلاثة دون ان يحس بغيابه احد .. الا اسماعيل بك نفسه الذي خسر عددا من زبائنه في فترة سجن عوض .. وقد ارجع البعض سوء طالع اسماعيل بك في تلك الفترة لغياب عوض الذي جلب الحظ لاسماعيل بك ..

ولكنه عاد ذات صباح .. وكان شيئا لم يحدث له .. عاد بنفس الابتسامة القديمة وان كانت قد ازدادت تحديدا في معناها عن ذي قبل .. واصبح الناظر اليها يستطيع أن يدرك دون كثير من العناء ان صاحبها يستهين بكل ما تقع عليه عيناه .. وبكل ما يمكن ان يحدث له من هموم . ولا يظن أحد انه أضاف الى ابتسامته شيئا .. لا .. ولكن لست ادري كيف بدأت افهم ابتسامته بعد عودته على انها ليست سوى تعبير صريح لبق عن احساسه بالاستهانة والاحتقار لكل ما يرى من حوله ..

ولكن شيئا غريبا قد جد على هيئته .. شيئا اصبح من علاماته المميزة تماما كالابتسامة .. التي شابت على شفتيه وكعظام وجهه البارزة .. ذلك انه تعود منذ عودته من السجن على ان « يشمر » بنطلونه الى اعلى .. دون ان ندري لذلك سببا ..

وقد حاولت ان افهم سر اصراره على هذا .. فالحق ان بهيئته كثيرا من اوجه القبح .. وهو ليس بحاجة الى المزيد من التشويه .. لقد قال لي البعض انه تعود هذا لانه كان في السجن يغسل البلاط وكان يرفع بنطلونه على هذا النحو خوفا من البلل .. وقال البعض كثيرا من المبررات التي لم أقتنع بها ..

ولكني أحسست من سلوكه منذ ذلك الوقت انه اخذ يتحرك في الحياة كما لو كان يدوس على أوحال قذرة .. حتى في مكتبنا ..

نعم .. فقد عاد عوض من السجن ليجد باب منزل اخته مغلقا في وجهه .. فلم يقبل زوج اخته الاسطى محمود ان يؤويه معه في البيت .. وكيف يؤوي في منزله مجرما .. خريج لومان .. انه رجل مستقيم في غنى عن هذه الدوشة .. أي والله .. هكذا وجد عوض نفسه مطرودا من بيت الرجل الذي صلب من اجله ثلاثة اعوام .. فازدادت ابتسامته دون ان يدري تحديدا في معناها .. معنى الاستهانة والاحتقار لكل شيء .. ولا استبعد ان يكون هذا ما كان يدفعه

في اللاشعور الى رفع بنطلونه الى أعلى .. كمن يسير في طريق الحياة الموحل .. خائفا على نفسه من التلوث ..

وبمرور المدة .. لم يعد منظر بنطلونه المرقوع يثير في نفسي أي احساس بالدهشة .. ولكني بدأت المس في حركات عوض وسلوكه بالمكتب نوعا غريبا من الوقار .. لم يعد خفيف الحركة يكاد يقفز تلبية لكل طلب من واحد منا .. فقد أصبح يضيق ذرعا بشتائمنا التي كانت تجد عنده من قبل تسامحا مميزا ..

وبدأت أحس ان ابتسامته رغم ثباتها على حالها القديم .. لم تعد نفس الابتسامة الصافية التي تفغر وتعبر عن الحب .. ولا تقوى الا على اللوم فقط في بعض الاحيان .. بل مجرد قناع تمزق ، وأن نصيب الحزن العميق والملل فيها اكبر بكثير من نصيب الصبر والمجاملة والاحتمال.

ولا أعلم أين يسكن عوض بعد ان طرده زوج أخته من بيته.. بل أضفت هذا السؤال الى بقية الاسئلة الحائرة التي لم أكن أجد لها أجوبة عن حياة عوض واسراره ..

كل الذي أعلمه أنه تقرب اكثر من ذي قبل من الحاج محمد..صارا صديقين .. بل صار عوض كثير السؤال عن ابناء الحاج محمد .. يسأل عنهم باهتمام غريب .. ويلح في رؤيتهم فاذا رآهم أمعن في التلطف معهم واعطائهم قطع الكراملة التي كان يحتفظ بها في جيوبه من اجلهم دائما .. بل انني رأيت عوض ذات مرة يحتد على الحاج محمد لانه كان يزمع أن يخرج ابنه الكبير من المدرسة ليعمل صبيا في ورشة ميكانيكية .. ولم يكن واحد منا عندما سمع صوت العراك بين الاثنين يظن ان احدهما متضايق لضرر سيلحق بابن غريمه ..

ولكن عوض اختفى من مكتبنا منذ شهر تقريبا.. دون ان يعلم احد .. حتى الحاج محمد نفسه سر اختفائه .. وبعد ثلاثة أيام علمنا انه مريض ..

ومن الغريب أننا أدركنا جميعا هذه المرة قيمة عوض .. بشكل لم يتوقعه أحد أبدا .. ولا عوض نفسه ..

فقد توقف تصوير احد الافلام التي كانت الشركة تنتجها يوما كاملا لان المخرج لم يجد في ذلك اليوم من يصلح لتلقي الضربات بدلا من البطل .. كعوض ..

واضطربت اعصاب اسماعيل بك من كظم غيظه عدة مرات في اليوم وقال له صديقه الدكتور على ان عنده مبادىء ارتفاع ضغط الدم ... وكنت وحدي اعلم ان دواءه الوحيد هو عودة عوض الى الشركة ..

اما زميلنا عباس فلم يجد من يكذب نيابة عنه في التليفون ليهرب من دائن يطارده بالحاح .. وكانت هذه مهمة عوض في الايام الماضية .

واليوم .. ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٦٣ يوم لن انساه .. ذهبت الى الشركة في الصباح لاجد أعجب خبر في انتظاري .. كان الحاج محمد يحمل القهوة لعباس فقابلني في طريقي الى مكتبي ..

ـ مسمعتش يا أستاذ أحمد .. مش عوض مات ..

قالها الرجل مبتسما مندهشا وكأنه يلقي علي اخر نكت الموسم والواقع ان بدني كله لم يسترح لهذا الخبر ولا للطريقة التي أبلغني بها الحاج محمد .. أحسست على الفور باضطراب وكأن دمي قد ضل سبيله في شراييني وتصادمت كراته ببعضها فأحدثت ضجيجا صامتا داخلي هو سر عدم راحتي للخبر .. ولكني واصلت طريقي الى مكتبي محاذرا ان تشي ملامح وجهي بالانفعال الجامح بداخلي .. ولا بضيق أنفاسي وقد زهدت عملها الرتيب ..

وجلست على مقعدي .. وعندئذ فقط عادت الكرات الى مجراها في عروقي .. وبدأت أمارس أغرب احساس بالدهشة .. عوض يموت.. هل يمكن أن يموت كما سأموت أنا ذات يوم وكما سيموت اسماعيل بك نفسه .. وكما مات صديقي الحبيب رمزي منذ عامين .. وجدتي منذ شهرين .. غريبة .. لا .. غير ممكن أن يحدث هذا .. لا بد ان الحاج محمد يكذب ..

ولكني تأكدت بعد قليل من صحة النبأ .. وأدركت .. بعد فوات الاوان .. أن لعوض ايضا روحا كأرواحنا يمكن ان تفيض على الطريق..

فقد جاء رجل قال أنه جار لعوض في مسكنه وقد تركه في غرفته جثة أوشكت أن تجف .. وجاء ليبلغنا المصاب ...

ومن الغريب أيضا انني لم أحزن عندما تأكد النبأ .. بل كدت أبتسم لخاطر مريد .. خاطر كان يؤكد لي أن عوض قد أفلح اخيرا في ان يعمل شيئا لنفسه هذه المرة .. شيئا لن يقال عنه انه قام به عوضا عن احد .. فقد مات .. مات لنفسه هذه المرة وفرحت له .. أي والله فرحت لانه اصبح رجلا ... حتى ولو كان ذلك على حساب حياته كلها.. بل ان موته عمل بطولي تحدانا فيه جميعا .. بل وتحدى اسماعيل بك نفسه .. ولو علم أحد من زملائي بذلك الحوار الصامت الذي دار بعقلي وأنا أناقش هذا الخاطر .. لقالوا عني أنني أبله ..

أيه دنيا ...

ولم يستغرق صدى موت عوض في المكتب بين زملائي الا دقائق.. وعاد كل منا الى عمله .. ان الحياة يجب ان تستمر .. وكي تستمر يجب ان يلهو الناس .. وكي يلهو الناس يجب ان ينتج اسماعيل بك افلاما رخيصة .. وان نساعده على هذا بتنظيم حساباته واعماله..ولن نتمكن من هذا الا اذا نسينا عوض .. مات .. وانتهى .. ظظ ..

ولكن اسماعيل بك لم ينظر للمأساة مثلنا .. فقد حضر بعد ساعة ورأيته لاول مرة يتخلى مختارا عن فظاظته وتكشيرته الحجرية بعد سماع النبأ الحزين وكأنه فقد كل ثروته ..

وبعد لحظات ناداني اسماعيل بك وقال لي أن علي أن أقوم بمهمة دفن عوض فهو يعلم ان ليس له أقارب.. وعلينا ان نؤدي هذا الواجب..

والحق اني حاولت أن أتهرب من هذه المهمة الثقيلة .. فانا لا أحب زيارة القبور .. ولا حضور الاعراس .. ولكني لمحت على وجه اسماعيل بك بشائر التكشيرة المرعبة وقد اوشكت ان تعود لتزمجر في وجهي ككل مرة حاولت أن أرفض له أمرا .. فقبلت .. وأنا غارق في الحيرة .. والضيق .. والكره الشديد لعوض .. ولموته ..

ولم ينس اسماعيل بك وانا استعد لمغادرة حجرته أن يقول لي بلهجته العملية التي لا أثر فيها للعواطف ..

ـ وما تنساش تبقى تجيب معاك فاتورة بكل المصاريف اللي ح تدفعها.

ـ فاتورة .. عشان ايه بقى ..

ـ ح نبقى نضيف المصاريف على انتاج الفيلم ..

ولو كان باستطاعة اسماعيل بك .. لامرني أن أحزن على عوض ايضا .. وأن أبكي .. هذا هو اسماعيل بك في أصدق صورة ..

ونزلت من المكتب لاؤدي أعجب مهمة يمكن أن يقوم بها موظف .. نزلت لادفن اللاشيء .. ولاختزل بقدر الامكان في المصاريف .. ولامثل على كل من سيعاونني في هذه المأمورية دور الحزين المتألم ..

وبصعوبة بالغة استطعت أن أصل الى غرفة عوض .. كانت غرفة مستقلة فوق سطوح احد العمارات الشاهقة بحي عابدين .. وكان التيار الكهربائي مقطوعا والمصعد متوقفا .. فاضطررت للصعود عشرة طوابق على قدمي .. وانا احمل جسدي وضيقي وثرثرة الجار النافه الذي أوشكت ان اصيح به ليسكت عن المزيد من الكلام السخيف المعاد الذي يقال في هذه المناسبات ..

وعلى باب الحجرة المغلقة وجدت دموعا في عيني كلب وتقدمني الجار الى داخل الغرفة وتبعته مع الكلب الذي قفز ليدخل معي فرأيت جثة عوض ممدة على الارض .. مغطاة بملاءة قديمة .. ولم يتوقف الجار عن هرائه وهو يرفع الملاءة عن وجه عوض المسجى عندئذ لم اتمالك سخطي فصحت فيه لانهره .. ولكن .. أتراني صرخت فيه لانه احنقني بكلامه المجوج .. أم لانه كشف عن جثة عوض الستار .. ام لا لهذا ولا لذلك وانما لاني رأيت على وجه عوض نفس الابتسامة الوفية التي زاملت وجهه طوال الحياة الشائكة .. أي والله .. نفس الابتسامة ..

ونظرت حولي في الغرفة .. وعندئذ فقط فهمت عوض على حقيقته .. وتحددت لي معنى ابتسامته دون ان يداخلني شك في فهمها هذه المرة .. كانت الغرفة خالية تماما من الاثاث .. من الهواء .. من الاحزان ..

يسر ((الآداب)) ان تعلن ان عددها السنوي الممتاز سيكون في هذا العام خاصا بـ

فلسطين

فلسطين : الارض المقدسة التي يستعد العرب اليوم ، في جميع اقطارهم ، لاسترجاعها من الصهيونية المغتصبة ، والتي طبعت النتاج الادبي ، في السنوات الخمس عشرة الماضية ، بطابعها المأساوي العنيف .

و ((الآداب)) تدعو ادباء العربية ، من دارسين وقصاصين وشعراء ، الى المشاركة في تحرير هذا العدد الضخم الذي سيصدر في مطلع اذار (مارس) القادم ١٩٦٤ .

ولاول مرة أحسست أن عوض قد سخر مني .. ومن الحياة نفسها .. وأنه كان يمتلك في اعماقه من اسلحة مقاومتها ما تعجز عنه كل اساليب الاخرين .. فأنا كي أمتلك سريرا يجب ان اذهب الى بائع الموبيليا واعطيه عشرة جنيهات مثلا فيرسل الي السرير .. أما عوض فانه كي يحصل على هذا السرير .. أو أي شيء عداه .. كان يدوس على زرار في خياله الجامح فيفرش له الغرفة بأرقى الاثاث .. ولهذا كان يستغني بخياله هذا عن الدنيا جميعها .. وهذا سر ابتسامته .. الساخرة .. المستهينة .. اللامبالية .. فهمتها بعد فوات الاوان ..

وداهمني شعور عميق عندئذ بأني أكره عوض.. ذلك الكره الخبيث الذي يغذيه الاحساس بالنقص .. نقصي أنا .. وتكامله هو .. ولعل هذا الكره هو ما دفعني أن أصرخ في الجار الذي نظر الي متعجبا وكأنه لم يصدق أن الرجل الوديع الذي جاء معه من مكتب الشركة هو نفس هذا الفظ الشرس الذي هشم الحب بالصراخ ..

على أي حال .. فانني اعتذرت له بأن اعصابي منهكة .. ولعل الرجل قد فسر هذا على انه حزن مني على الفقيد المحبوب ..

ولم يطل الصمت بيننا .. فقد اقترح علي الجار أن ينزل لاستدعاء الحانوتي.. وللمرة الالف ضج دمي بالاضطراب عند ذكر الرجل للحانوتي.

وهم الرجل بتركي وحدي في الغرفة ولكني صممت على الذهاب معه رغم المصعد المعطل .. فما كنت أطيق البقاء بمفردي وجها لوجه مع تلك الابتسامة الملعونة ..

وهناك عند تاجر الموت .. زمجر الرجل وكاد أن يرفض ((الشغلانة)) فما أن طلبت منه فاتورة بتكاليف دفن عوض حتى صاح ساخرا ..

ـ بقى الناس بتتقدم وتطلع القمر بالصاروخ .. وانت جاي تقول لي فاتورة يا سيدنا الافندي .. ميت بفاتورة .. عالم ايه ده ياخوي..

ولم أفهم طبعا ما علاقة الصاروخ والقمر .. بالفاتورة المطلوبة .. ولكني لم أرد أن أناقشه في هذا الامر .. كان كل ما يهمني عندئذ أن أنتهي من هذه المهمة البغيضة بأي ثمن ..

ـ يا معلم أنا راجل موظف .. موظف حسابات وكل مليم يتصرف لازم يثبت في الدفاتر . أحنا شركة ..

ـ شركة ايه ودفاتر ايه يا راجل .. واقول ايه في الفاتورة دي بالصلاة على النبي .. المطلوب من المرحوم معرفش ايه .. مبلغ وقدره قيمة تغسيله وتكفينه ودفنه .. هو اسمه أيه المرحوم على فكرة ..

ـ وانت مالك باسمه .. طلعها باسم الشركة ..

ـ هي الشركة اللي ماتت .. يا سيدنا لفندي ..

ولم أستطع اقناع المعلم بموقفي الا بعد ان أعربت له عن استعدادي لدفع أي مبلغ مهما كان كبيرا ما دام سيعطيني فاتورة بالمبلغ كله..المهم أني لقيت كثيرا حتى وافق على مطلبي .. ولكنه لم يكف عن الغيظ والتعجب ..

ـ ميت بفاتورة .. أول مرة تحصل ...

وكان لا بد من استخراج تصريح بدفن عوض .. كأن عوض بدون هذا التصريح.. لم يمت ..

وهناك في مكتب الصحة .. قابلنا الموظف بتكشيرة عاصفة .. رأينا أمامه بضعة افراد سبقونا لاستخراج شهادات لدفن موتاهم.. وكان الرجل ضائق الصدر بما أمامه .. فانه كان يقوم بالعمل بدلا من زميل له في اجازة .. وكان يصيح ..

ـ يا خويا هو عبد المنعم أفندي يأخذ اجازته من هنا .. وتكتر أموالكم من هنا .. وأنا مالي أنا ..

وتندمت منه وأنا أهيىء نفسي للعراك معه .. كنت مصمما على الحصول على الشهادة المطلوبة .. وسمعت همهمات ساخطة من حولي

.. فقد تضايق الواقفون لاني تعديت دوري ووقفت امام الموظف.. وزمجر رجل اخر في وجهه محتجا ..

وبالفعل استطعت أن أخدع الموظف بتجهمي .. فسارع بكتابة الشهادة ثم القى بها في وجهي في فظاظة .. وسقطت الشهادة على الارض مع غيرها من الاوراق ولكني التقطتها .. ثم أسرعت مع الحانوتي .. الى الخارج ..

وعدنا الى غرفة عوض .. وهناك كانت تنتظرنا مفاجأة اخرى .. فقد وجدنا الماء مقطوعا عن العمارة .. ومن يدري لو ظل الماء مقطوعا أكثر من نصف ساعة فربما كنا ندفنه دون غسل ..

وبعد لحظات مرة خانقة وجدت نفسي بجوار سائق العربة السوداء في طريقنا الى مدافن الصدقة .. كانت جنازة صامتة مهملة.. لا تكرمها دمعة حزن .. ولا آهة صادقة من قلب أحد .. ووالله لو كان الميت كلبا .. لكانت الجنازة أحر .. لو كانت الجنازة مجرد مشهد سينمائي يصور في أحد الافلام لكانت أكثر اقترابا من الواقع .. ومن الحقيقة.

وكان السائق غاضبا .. فقد كان يعلم مقدما أنني لن أعطيه مليما واحدا من عندي ما دامت المسألة محتاجة لفاتورة .. فأخذ يبرطم بكلام سخيف .. ساخط وأردت أنا أن أستعين على هذه اللحظات الكئيبة بقطار سريع ركبه خيالي فأخذ يجوب به هذه الرحلة الطويلة التي انتهيت منها بفرملة صاخبة من صوته وهو يقول ..

ـ أنزل .. وخلي يومك يفوت على خير ..

وهكذا نزلت من العربة تحيطني هالة من الغبار تدفن من أمامي كل شيء الا الاحزان التي تطفو فوق هذه القبور .. كالارواح الغرقى التي فاضت على هذه الامواج .. امواج الفناء ..

واممانا في النكاية بي .. لم يتحرك السائق من مكانه .. بل تركني غارقا انا ايضا في هذا البحر الاجرب .. لا أدري ماذا افعل .. كل ما استطعت أن أفعله انني صفقت بيدي كالجالس على المقهى حينما ينادي على الجرسون .. لقد بحثت عن صوتي لانادي على حفار القبور فلم اجده .. واخيرا هداني تفكيري الى هذه الطريقة المودرن في طلب التربي.

وبعد لحظات طويلة خلتها دهرا.. جاء الي رجل عجوز لا شك ان الموت خاف منه وتركه كل هذه السنين ولم يأخذ الا قلبه .. كان يقترب مني بخطى وئيدة هائنة وكأنه يرقص رقصة توقيعية في أبشع باليه اخترعه شيطان .. فلما وصل امامي وقف دون أن يفتح فمه .. بل نظر الي ثم الى العربة السوداء نظرة حكيمة وانية .. ثم قال ..

ـ نعم .. طلبات السيادة ..

نفس كلمات توني الجرسون العجوز عندما يأتي الي ليسألني ماذا أريد ان اشرب .. وانا اليوم قد شربت بالفعل كأسا .. كأسا مرا ..

قلت له ..

ـ عاوزين ندفن راجل غلبان ..

ـ مكانش يتعز ..

ـ ايه مش دي مدافن الصدقة .. امال عملوها لمين ..

ـ خلاص يا بيه .. الترب دي ح تنتقل بعد خمستاعشر يوم .. ح يبنوها بيوت للناس تعيش فيها ..

ثم استرسل الحفار في كلام بليد ميت ليشرح لي كيف ان الموت قد يمل سكناه أيضا في مكان ما ويؤثر ان يرحل الى مكان اخر .. فان الحكومة قد قررت ان تبني هنا مدينة تترعرع فيها الحياة ..

ـ ومش ح ينوبكوا الا الشعططة وبهدلة الميت بتاعكم ..

ـ ده مش بتاعنا ولا حاجة .. ده بتاع كل الناس ..

ـ ازاي يعني .. مش فاهم قصدك يا سيدنا ..

ـ ايوه .. ده راجل غلبان وملوش حد .. وينوبك فيه ثواب ..

ولم يقتنع الرجل البليد أبدا بضراعتي .. بل قال ما عنده ثم اوشك ان ينصرف .. عندئذ احسست بتعب اليوم كله يتمثل امامي.. هل اعود بجثة عوض مرة اخرى .. وأين اعود بها ..

حاولت مرة اخرى ان اقنع الرجل .. امسكت بكتفيه اهزهما وانا ارسم على وجهي علامات الحزن والكدر كي يرق قلبه ويلين..

ولكن لا فائدة .. وتصاعد غيظي .. هل اضرب الرجل .. لو كنت اعرف تفاصيل مهنته المشؤومة لقمت انا بدفن عوض دون حاجة اليه.

ولا ادري كيف وضعت يدي في جيبي واخرجت ورقة من ذات الجنيه . وقدمتها له .. فلانت تعبيرات وجهه الصلدة .. ثم قال بعاطفة مدربة على الاحزان ..

ـ بس يا بيه مش ح ينوبكوا الا الشعططة.. ح نعزل بعد خمستاشر يوم ...

ومع ذلك بدأ يؤدي واجبه نادى على مساعده الشاب فأخذ يرفع المجاديل ليفتح فوهة المقبرة .. ثم اتجه للعربة ومعه المساعد ثم عادا بجثة عوض ..

ولست أدري لم بدأت أشعر عندئذ باحتقار شديد لنفسي.. كيف بخلت على عوض حتى الان بنظرة واحدة من الحزن الصادق ..

ودفعني احتقاري لنفسي ان اشارك في حمل جسده والرجلين ينزلان به الى جوف القبر .. جوفه الرهيب الذي سخر من الانسان وتذكرت ابتسامة عوض .. فما اعجب العقل .. وخواطره.. وتداعي افكاره ..

وفي القبر .. وضعنا جثة عوض .. ووضعت معها على الارض كل ما ذاب في دموعي من رثاء لم افطن اليه منذ الصباح .. ونزلت بجواره فرأيت عجبا .. بقايا أرجل وأذرع وجماجم .. ضاعت أسماء اصحابها .. المختلفة .. وبقيت منها حقيقة واحدة رهيبة لن تضيع .. وسالت دموعي نهرا .. هكذا خيل الي ولكني سارعت بكفكفتها .. ان هذه البقايا ستؤنس عوض في الرحلة الطويلة المقفرة ..

ومع ذلك كنت وانا اصعد الى سطح الموج لا زلت غارقا في نزيف داخلي من الاحزان .. كم كانت الحياة بخيلة على عوض فلم تمنحه لمسة

صدر حديثا :

محدودات بلا حدود

بقلم

أمينة العدوان

مجموعة جريئة من الخواطر والتأملات

الناشر : دار الفكر الجديد

بيروت ص ب ٣١٥٧

الثمن ١٠٠ ق.ل.

واحدة حانية .. وقد نفذنا جميعا ارادة القدر بالقسوة على عوض... وحرمانه من أرخص اللمسات .. ولا أمل في أن تصل اليه الرحمة ابدا بعد الان .. وبحثت حولي عن مقرىء ليتلو بضع ايات كريمة ..ولكني لم أجد ..

ما اتعسني .. ماذا افعل .. لقد ضاعت الفرصة الى الابد كي اكون مع عوض انسانا .. ولكن لا .. لا ازلت هناك فرصة .. سأنشر نعيه في الاهرام .. سيرفض اسماعيل بك دفع فاتورة الجريدة ..ولكن حسنا سأدفعها أنا .. فقد ادركت انني احب عوض .. احبه بعمق الحزن الذي يسيمني الان ..

وما ان ادرت ظهري لاتجه الى العربة التي فاض الفيظ بسائقهـــا حتى رأيت سيدة عجوز تقبل من بعيد نائحة باكية وهي تحمل على يديها طفلا .. مات ..

ورآها الحفار معي ولكنه استدار ليذهب .. فأسرعت العجوز في خطوها منادية ..

ـ يا ولاد الحلال .. ربنا يخليكوا .. ربنا يديكوا طولة العمر..

وسألتها وقد أصبحت أمامي ماذا تريد ولكنها لم تجب علي..كانت تعلم ان مطلبها ليس عندي .. بل قالت للحفار وهو يمضي ..

ـ ادفنه ينوبك ثواب ..

فأجابها الرجل وهو يواصل طريقه ..

ـ خلاص يا ست شطبنا ...

ـ يا بني حرام عليك ..

ـ يا ست ح نعزل بعد خمستاشر يوم ..

ثم سمعته يردد عليها نفس ما قالت لي منذ لحظات .. وحـاولت العجوز وهي تلهث ان تستدر عطفه على الطفل الميت .. فلم يتحـــرك قلبه الميت .. الى ان سمعت العجوز تقول له ..

ـ يا بني حرام عليك .. ده نور .. اللي يأخذه في حضنه مـــا يروحش بيه الا الجنة ..

والهبت الكلمات شعوري .. وتذكرت عوض ..

ومددت يدي الى جيبي لاخرج بضعة قروش وانا على وشك الابتسام .. عوض يمكن ان يذهب الى الجنة .. بعشرة قروش اقدمها للحفار سيذهب عوض الى الجنة .. يا بلاش .. ارخص من ارسال خطـاب الى بلد بعيد مسكين كان رخيصا في كل شيء .. حتى في تكاليف ارساله الى الجنة ..

وبالفعل ما ان رأى الحفار يدي وبها الورقة النقدية الصغيـــرة حتى وافق على دفن النور في احضان عوض ..

ولكن .. ما ان بدأت اتحرك لاتجه الى العربة مرة اخرى حتى صاح الحفار كمن تذكر شيئا ..

ـ يا بيه .. يا بيه .. ورقة الصحة فين ؟

كنت قد نسيت ان اقدم له تصريح الدفن .. وبحثت عن الورقة في جيبي حتى اخرجتها لاقدمها له ..

ولكن ما هذا .. ان هذه الشهادة .. ليس هذا اسم عوض..لا بد ان موظف مكتب الصحة اعطاني تصريحا بدفن شخص اخر غير عوض.. وضحكت .. ان عوض مدفون الان في الارض عوضا عن هذا الاخر صاحب هذه الشهادة ..

ولم استطع ان انبه الحفار الى هذا الخطأ .. فقد كنت أعلم ما سيرتب عليه من متاعب ..

ولكن الحفار تعجب من ضحكتي ..

هل كان يعلم انني ضحكت لانني رأيت عندئذ في خاطري عـــوض بابتسامته العجيبة يخرج لسانه لي وكأنه يريد ان يقول :

ـ ايه .. وضحكت عليك .. كنت فاكر اني ادفنت عشان نفسي ، لا يا حلو .. انا برضه عوض .. لا يمكن أغير مبدأي . .

نعم كان عوض .. عوضا .. حتى في دفنه ..

ايه دنيا ...

فتحي زكي

سلسلة المسرحيات العالمية

سلسلة جديدة تقدم فيها دار الاداب مجموعة رائعة من اشهر المسرحيات العالمية التي وضعها كبار كتاب المسرح

صدر منها :

١ ـ البغي الفاضلة وموتى بلا قبور

بقلم جان بول سارتـر

ترجمة الدكتور سهيل ادريس والمحامي جلال مطرجي

الثمن ٢٠٠ ف.ل

٢ ـ ماريانـا

تأليف فديريكو غارسيا لوركا

ترجمة شاكر مصطفى

الثمن ٢٠٠ ف.ل

٣ ـ هيروشيما حبيبي

تأليف مرغريت دورا

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

الثمن ٢٠٠ ف.ل

٤ ـ لكل حقيقته

تأليف لويجـي بيراندلـلو

ترجمة جورج طرابيشي

الثمن ٢٠٠ ف.ل

٥ ـ تمت اللعبـة

تأليف جان بول سارتر

ترجمة مجاهد ع. مجاهد

الثمن ٢٠٠ ف.ل

منشورات دار الاداب ـ بيروت